الفكر الجغرافي العربي الاسلامي

المرحلة الثالثة :

تمثل هذه المرحلة قمة الفكر الجغرافي العربي الاسلامي وقد امتدت منذ بداية القرن الرابع الهجري حتى اوائل القرن السادس الهجري وتمثل مرحلة النضوج للفكر الجغرافي العربي فقد كانت معلومات كتابها تعتمد بالدرجة الاولى على:

1. الدراسة
2. المشاهدة
3. الاختيار الشخصي

مما جعلها ذات قيمة وكفاءة عالية.

وقد بلغ الادب الجغرافي العربي اوجه في مجال تطوره الخلاق كحركة مستقلة بذاتها، ولم يقف الفكر الجغرافي عند هذا الحد فقد تم تشكيل المدرسة الكلاسيكية للجغرافية العربية وشهدت هذه المرحلة تطورا في الكارتو غرافيا العربية ادت في انتاج ( اطلس الاسلام ) .

اضافة الى زيادة عدد الرحالة للمسلمين فان الفكر الجغرافي العربي قد وجد له مجالا في المصنفات البيلوغرافية ودوائر المعارف وفي معاجم المصطلحات ، كما ارتبط الفكر الجغرافي ارتباطا وثيقا بتطور الفكر الادبي العربي. كما ان علماء هذا العصر امتازت كتابتهم بالشمولية، ويمكن ايجاز اهم الخصائص التي برزت في الفكر الجغرافي العربي الاسلامي في هذه المرحلة بالنقاط الاتية :

1- اخذ البحث الجغرافي يتجه اتجاها عمليا وعلميا.

2- استخدمت المعرفة الجغرافية لتحقيق اهداف ومتطلبات الدولة وحكامها في مجال الاغراض العسكرية والاقتصادية .

3- اخذ الفكر الجغرافي العربي يعتمد على الخبرة الشخصية مبتعدا عن الالتزام بالفكر اليوناني والروماني الذي امتازت به المرحلة السابقة .

4- الاهتمام بالجغرافية الوصفية نتيجة لكثرة الرحالة الذين عاشوا هذه المرحلة.

5- استخدام الخرائط في مجالات البحث الجغرافية فقد جاءت بعض الكتب التي وصفت في هذه المرحلة مصحوبة ببعض المصورات والخرائط .

6- برزت فواصل بين المعرفة الجغرافية وبين المعرفة الفلكية واصبح لعلم الفلك مكانة مستقلة اما علماء هذه المرحلة فيأتي في مقدمتهم المسعودي واليعقوبي والبخلي وابن حلقي والمقدسي والاصطخري والادريسي، وهؤلاء الذي يمثلون المدرسة الجغرافية للمشرق العربي الاسلامي باستثناء الادريسي الذي يعد من ابرز الجغرافيين الذين انجبهم المغرب العربي.

 ومن اهم مميزات هذه المرحلة بروز مدرسة جغرافية تمثل الفكر الجغرافي العربي المغربي ويمثلها الادريسي احسن تمثيل، فقد برزت في الاندلس والمغرب العربي جهود كبيرة في مجال الفكر الجغرافي حيث برزت بعض المصنفات الاندلسية المغربية والتي اشار اليها الاندلسي في كتابة نزهة المشتاق فيما بعد ، ومن قادة هذه المدرسة الاندلسية المغربية التي عدت مؤلفاتهم المنطلق الذي اعتمدته الجغرافية المغربية الاندلسية.

علماء المرحلة الثالثة:

تُمثل هذهِ المرحلة مرحلة النضوج للفكر الجغرافي العربي، فقد كانت معلومات كُتابها تعتمد بالدرجة الاولى على المشاهدة والدراسة ، مما جعلها ذات قيمة وكفاءة عالية، ومن اهم علماء المرحلة الثالثة:

1- **الرازي** أحمد بن محمد(274- 344 ه) – (887 -955 م):

يُعد الرازي أبا الجغرافية والتاريخ ، ففي الوقت الذي عرفتهُ أوربا مؤرخاً مشهوراً، فأنهُ قدم للجغرافية المغربية الاندلسية الكثير، والرازي من مواليد مدينة قرطبة التي أصبحت مركز الإشعاع العلمي في القرن الرابع هجري- العاشر ميلادي.

وأهم ما قدمهُ الرازي للجغرافية العربية إدخالهُ نمط الجغرافية الاقليمية، وألف كتابا ضخماً عن طرق الاندلس والمرافئ والمدن الكبيرة فيها.

2- **الوراق** محمد بن يوسف أبو عبد الله (292- 363 ه)- (904- 973 م):

مؤرخ وجغرافي أندلسي عاش في القرن العاشر للميلاد. ولد في الأندلس، ثم انتقل إلى القيروان وترعرع فيها، وتوفي في قرطبة عام 973م. كان ذا حظوة كبيرة لدى المستنصر ثاني الخلفاء الأمويين في الأندلس. وقد ألف له كتابا ضخما في جغرافية المغرب أسماه "أفريقيا وممالكها" وألف كتبا متعددة في أخبار ملوكها وحروبهم، ومن الكتب المشهورة لهُ كتاب (المسالك والممالك). والذي اعتمد عليه البكري فيما كتبه عنها. وللوراق أيضا رسائل صغيرة ولكن عظيمة القيمة عن بعض بلاد أفريقيا.

3- **الطرطوشي** إبراهيم بن يعقوب (الرابع الهجري، العاشر الميلادي)

هو رحالة أندلسي من طرطوشة في الاندلس، عاش في القرن الرابع الهجري، جمع معلومات كبيرة عن المانيا وبلاد الصقالبة والمدن القريبة من الساحل الفرنسي وهولندا.

4- **العذري الدلائي** أحمد بن عمر بن أنس (393 -478 ه) – (1002- 1085 م):

ينسب الى احدى القُرى في الاندلس المسماة الدلاية، من مؤلفاته: دلائل النبوة، ونظام المرجان في المسالك والممالك، وتتميز كتاباتهِ بانها قريبة من علم الهيدرولوجي الحديث، فقد تناول في كتبهِ مجاري المياه وعيونها والانهار وفروعها فضلا عن طُرق السقي، وهو أول من وصف طريقة الري الحوضي، وميزها عن طريقة الري الدائم.

5- **البكري** أبو عبيد الله البكري (405 -487 ه)- (1014– 1094 م):

من أشهر الجغرافيين الاندلسيين خلال القرن الخامس ، وهو من تلاميذ العذري، ومن خصائص علماء الاندلس انهم يجمعون بين الجغرافية والتاريخ، وهو جغرافي وموسوعي واديب ونباتي عربي أندلسي . ولد في اشبيلية وتوفي في قرطبة ، اشتهر في القرن الحادي عشر الميلادي ، وهو أول الجغرافيين المسلمين في الأندلس. قيل إن ملوك الأندلس كانوا يتهادون كتبه، ومن اشهرها كتاب (المسالك والممالك)، ومؤلفه الاخر (معجم وما أستعجم).

في عام 1949 م أطلقت وكالة الفضاء الأميركية ناسا اسمه على فوهة من فوهات القمر تقديرا لإسهاماته المتميزة في حقل الجغرافيا.

المرحلة الرابعة:

تنحصر هذه المرحلة بين بداية القرن السادس الهجري ومنتصف القرن السابع الهجري ( سقوط بغداد 656 هـ ) ، وقد انعكست الاثار السياسية على طبيعة هذه المرحلة فجعلتها تتخذ طابعا يميزها عن المراحل السابقة، فمنذ ان تفككت الدولة العربية الاسلامية في اوائل القرن السادس الهجري وانحلت سياسيا فقدت المعرفة الجغرافية اصالتها ، فقد انصرف الحكام عن تشجيع العلم وتقلصت رقعة الدولة الاسلامية وانقسمت الى امارات شبه مستقلة ، واصبحت حاجة الحكام الى المعرفة الجغرافية محدودة .

ومع ذلك كله فقد برزت اتجاهات عديدة في هذه المرحلة املتها الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية.

واستمرت الانماط الاساسية ممثلة في الجغرافية الفلكية والجغرافية والوصفية وجغرافية الرحلات اضافة الى بروز نمط جديد تمثل في كتابة المعاجم والرحلات وكتابة المعاجم نمط جديد يجمع بين الادب العربي والمعرفة الجغرافية، وقد دعت الحاجة الى مثل هذا النمط نتيجة لوجود اعداد كبيرة من القراء الذين يصعب عليهم الجمع بين ما ورد من أسماء و أماكن في الشعر وبين ما يتم تأكيده في المعرفة الجغرافية، ومن أبرز العلماء الذين كتبوا المعاجم هم:

الزمخشري:

 أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، عاش بين (467 -538 ه)- (1075 – 1144 م)، أديب وعالم، مُعجمهُ المعروف (كتاب الجبال والاماكن والمياه)، والذي بين فيه مواقع الأماكن الجغرافية في الجزيرة العربية.

ياقوت الحموي:

هو شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الملك الحموي عاش ما بين ( 575-627هـ - 1179-1229م )، وآلف معجمه المعروف ( معجم البلدان )، وقد استفاد منهُ كثير من معاصريه، اضافة الى كثرة أسفاره التي اكسبته سعة في افقه الجغرافي وخاصة تلك الأسفار التي شملت الخليج العربي وسواحله واطراف شبه جزيرة العرب الجنوبية حيث كانت تلك المناطق مركزا مهما للتجارة ، واهمية معجم ياقوت تتجاوز كثيرا حدود الجغرافية الطبيعية وهو اوسع مصنف من نوعه لمؤلف عربي في العصور الوسطى.

ويتألف ( معجم البلدان ) من متن مطبوع يضم ثلاثة الاف وثمانمائة واربعا وتسعين صفحة وهو جامع لجميع ابواب الجغرافية الفلكية والوصفية واللغوية والتاريخية والدين والحضارة وعلم الاجناس( Ethnolagy ) ، وقد برز معجم ياقوت في القارة الاوربية خلال القرن التاسع عشر، حيث ركزت القارة الاوربية اهتمامها على كتابات الادريسي وابن الوردي .

وقد طبع المعجم في ستة اجزاء في الفترة بين عامي 1866-1873 وخرجت له طبعات خلال القرن الحالي منها طبعة بيروت .

الادريسي ( 493-560هـ / 1100-1164م ):

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس بن علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبدالله بن عمر بن ادريس بن عبدالله بن الحسين ابن علي ابن ابي طالب ( عليه السلام).

ويُعد أحد كبار الجغرافيين في التاريخ ومؤسسي علم الجغرافيا، كما أنه كتب في الأدب والشعر والنبات ودرس الفلسفة والطب والنجوم في قرطبة. استخدمت مصوراته وخرائطه في سائر كشوف عصر النهضة الأوربية. وقد ظلت كتبه وخرائطه معتمدة في الدراسات الجغرافية في الجامعات الاوربية لفترة طويلة من الزمن . حيث لجأ إلى تحديد اتجاهات الأنهار والبحيرات والمرتفعات، و قدم للفكر الجغرافي العربي الاسلامي ما يلي:

1. اعداد خريطة العالم والمعروف باسم "لوح الترسيم" على دائرة من الفضة ( خريطة الادريسي )
2. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، والمسمى أيضًا (كتاب روجر) أو (الكتاب الروجري) وذلك لأن الملك روجر ملك صقلية هو الذي طلب منه تأليفه، كما طلب منه صنع كرة من الفضة منقوش عليها صورة الأقاليم السبعة.
3. كتاب ( الجامع للصفات اشتات النبات ).
4. كتاب (أُنس المُهَج وروض الفرج).

ويتميز الادريسي عن بقية العلماء الذين سبقوه بكونه قد اتبع الطريقة العلمية في انجاز اعمالهِ، فقد اعتمد على المصنفات الجغرافية والتاريخية لذلك العصر، وقد ذكر في مقدمة كتابة انه اعتمد على اثني عشر كتابا جغرافياَ، وهي تمثل المصادر التي يعدها المؤلفون قبل التأليف في الوقت الحاضر. وبجانب المصادر التي اشار اليها في مقدمته فقد استعان بجمع المعلومات عن بعض المناطق الاوربية والتي خطت مها المؤلفات الذين سبقوه من العرب وكانت طريقتهُ تتخلص في اختيار بعض الاشخاص ممن اتصفوا بالذكاء والفطنة وايفادهم التي تلك المناطق مصحوبين ببعض المصورين ليصوروا ما يشاهدونه عيانا مع توصية لهم بالحرص على التقصي والاستيعاب.

ثم يقوم بتدقيق ذلك بنفسه ومن ثم يضع تلك المعلومات على خريطتهِ والتي استغرق العمل فيها خمسة عشر سنه، ومما تقدم يمكن القول ان الادريسي انفرد في ايجاد الطريقة العلمية المبتكرة الصحيحة والمتبعة في التحقيق العلمي .

اما بالنسبة للكرة الارضية فبعد ان انتهى من خريطتهِ قام بنقل المعلومات على كرة صُنعت من الفضة، وكان عملة هذا يمثل ابداعا كبيراً، فان نقل ما في الخريطة الى الكرة يتطلب وسائل تصغير كالتي نعرفها اليوم ، ولكن الادريسي كان لا يمتلك من وسائلنا سوى الفرجال والمسطرة والمثلث.

والعمل الثالث للإدريسي تمثل في اعداد كتاب ( نزهة المشتاق )، وقد اطلع الادريسي قبل اعداده الخريطة والكرة الارضية والكتاب على اكثر المصادر الجغرافية التي سبقته، من خلال استيعاب جميع اراء المدارس الجغرافية، اما عمل الادريسي الرابع فقد تمثل في اعداد خريطة ملحقة بكتاب ( نزهة المشتاق ) وقد ارتبطت هذه الخريطة بالمفهوم العام لهيئة الارض ووصفها في الفلك، ثم تقسيم الارض الى اقاليم. لقد اقتفى الادريسي آثر العلماء العرب الذين سبقوه، كما اشار الى ذلك بنفسة في موضوع كروية الارض مدورة كتدوير الكرة والماء لاصق بها وراكد عليها ركودا طبيعية لا يفارقها، والارض والماء مستقران في جوف الفلك كالمحة في جوف بيضة، ووضعها وضع متوسط والنسيم المحيط بها من جميع جهاتها، وهو جانب لهما الى جهة الفلك وذلك لشدة سرعة الحركة الفلك وجميع المخلوقات على ظهرها والنسيم الجاذب لما في ابدأنهم من الخفة والأرض جاذبية في ابدأنهم من الثقل بمنزله حجر المغناطيس الذي يجذب الحديد إليه، والأرض مقسومة بقسمين بينهما خط الاستواء وهو من المشرق الى المغرب، وهذا طول الارض وهو اكبر خط في الكرة. كما ان منطقة البرج اكبر خط في الفلك وبهذا يكرر الادريسي ما آتى به ابن رسته وابن الفقيه والمقدسي، وهؤلاء جميعا سبقوه بحوالي قرنين. و لم يكتفي الادريسي بذلك بل اخذ عنهم وعن غيرهم في عمارة الارض والتي تقتصر على الربع الشمالي من الكرة، فيما يخص مساحة الكرة الارضية ولم يأت بشيء جديد في مجال تقسيم العالم المعمور الى سبعة اقاليم، فقد سبقه الخوارزمي الى ذلك اما بخصوص تقسيم الاقاليم الى اجزاء وصنع الخريطة لها فقد اخذ الادريسي بفكرة توضيح البحث الجغرافية بطريق رسم الخريطة، بحيث يصبح الوصف الجغرافي والخريطة الملحقة به جزءا واحدا لا ينفصل، وعلى هذا الاساس قسم الادريسي كلا من الاقاليم السبعة إلى عشرة أقاليم متساوية ، وجعل لكل من هذه الاقسام خريطة توضح ما في داخله من ظواهر طبيعية وبشرية، وبذلك قدم شيئا اصيلا.

اما بخصوص الرحلات التي اخذت طابعا معينا في هذه الرحلة فتعود جذورها الى المرحلة السابقة، حيث بدأت الرحلات الجغرافية العلمية تأخذ طابعا معينا منذ بداية رحلة ابن فضلان وابن حوقل والمقدسي والتي تمت في القرن الرابع الهجري، اما في هذه المرحلة فقد اتخذت الرحلات طابعا جديدا تميز بظهور الصفة الادبية، كما ان الاخبار التي وردت في هذه الرحلات اتسمت بطابع البساطة والاهتمام بالمشاهد الدينية والاماكن المقدسة وعدد المساجد ومقابلات رجال الدين، وكانت أخبارهم عن الجوانب الجغرافية ذات قيمة اقتصادية فقد اشاروا الى اساليب المعيشة وجوانب مهمة من الزراعة والصناعة والمعدات والتقاليد ، وهذه جميعا تكون مادة بحث للباحث في الفكر الجغرافية العربي وفي هذا المجال لابد من الاشارة الى ان الفكر الجغرافي العربي سبق الامم الاخرى في مجال ادب الرحلات، وفي مقدمة الرحلات التي تمثل المرحلة الرابعة تمثيلا حقيقا رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة والتي سنشير اليهما بالتفصيل في مجال الجغرافية الصوفية والرحلات عند العرب.